والبرهان أن الإنسان وإن كان نوعاً من الحيوان فهو العالم الأصغر فإن الله تعالى خلقه وركب فيه من القوى المختلفة والأخلاق المتناسبة والشهوات الغالبة ما يقتضى خروجه فى أكثر الأوقات عن الدوام على حالة واحدة فهو إن رأى تمكنه واستغناءه ظهرت عليه دلائل الطغيان ومخايل التجبر ودليله من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ إنَّ الإنسان ليطغى أنْ رآه استغنى ﴾ وإن رأى عجزه واحتياجه ظهرت عليه دلائل الضعف والاستكانة ودليله من التنزيل قوله تعالى ﴿ وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ وإن رأى كمال يقظته ورزانة عقله ومواقع تدبيره خدعته نفسه ولربما أوقعته أفكاره فى الوساوس والتقديرات وألفته ريح وهمه فى أودية الخيالات لاستعمال المخادعات ودليله من التنزيل قوله تعالى ﴿ ولقد خلقنان الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ وإن رأى عجزه عن تكميل مطلوبه وخوفه من فوات مأموله ظهرت عليه مخايل التفتيش فأسرعت به إلى التلبس بالأمور وقبل وقت تمامها وحملته إلى مباشرة الأشياء قبل إبرامها ودليله من التنزيل قوله تعالى ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ وباعتبار هذه الأسباب والقوى حصل فيه التضاد فتارة يكون مسروراً وتارة محزوناً وتارة منبسطاً وتارة منقبضاً وتارة راضياً وتارة ساخطاً وتارة شجاعاً وتارة جباناً وتارة جواداً وتارة بخيلا وتارة قوياً وتارة ضعيفاً وتارة مطيعاً وتارة عاصياً وتارة مستقيظاً وتارة غافلاً وتارة ذاكراً وتارة ناسياً وتارة متجاوزة وتارة منتقماً فما من صفة من هذه الصفات وحالة من هذه الحالات إلا والإنسان معرض لها ولنقيضها وقد أشار أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى بعض كلامه إلى كشف الغطاء عما عليه الإنسان من اختلاف حالاته وتضاد صفاته على الوجه الذى شرحناه والتقسيم الذى أوضحناه قال عليه السلام : « أعجب ما فى الإنسان قلبه له مواد من الحكمة وأضداد من خلافها إن سنح له الرجاء أذله الطمع وإن هاج به الغضب اشتد له الغيظ وإن أسعف بالرضا نسى التحفظ وإن ناله الخوف فضحه الجزع وإن استفاد مالا أطغاه الغنى وإن غصته فاقة ص ٥ شغله الفقر وإن جهده الجوع أقعده الضعف وإن أفرط فى الشبع كظته البطنة وكل تقصير به مضر وكل إفراط له مفسد» فقد وضح ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام فى هذه الكلمات التى هى جواهر الكلم وغرر الحكم صحة ما ذكرناه من استعداد النفس البشرية لأنواع من الأخلاق والشيم وقد جعل الله سبحانه لكل صفة منها سبباً يحدثها وموجباً يقتضيها وهى تنقسم إلى صفات